



IRAQI  
Academic Scientific Journals



العراقية  
المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

**Journal of Language Studies**

Contents available at: <http://www.iasj.net/iasj/journal/356/about>



## The structure of Tahmeed in the letters of Ibn Munjib al-Sayrafi , d. (542) an analytical study

Asst. Prof. Noor raad Abdulla\*  
Directorate Salah Al-Din Education  
[Noor.rad@st.tu.edu.i](mailto:Noor.rad@st.tu.edu.i)

Received: 9 /10/2022, Accepted: 20 /11/2022, Online Published: 20 / 12 /2022

### Abstract

Ali bin Munjib was from the book of the Diwan in the sixth century AH and headed it during the time of the Fatimid state. Saying, the mention of praise will continue in sermons and messages until it reached the sixth century AH according to written customs, after which it is a basic prerequisite for the initiation and a complement to the structure of the message, both intellectually and formally, as the work varied according to the subject, especially in mentioning the blessings and virtues that are praised by God, and the use of praise in its nominal form is stronger in its nominal form. The style is from its Gaelic form because it carries stability and strength, as well as honoring the divine self. The praise is reinforced by the method of assonance, counterpoint, and the Qur'anic verses cited, especially when dealing with authority and the official position. Sometimes the praise is repeated in the same message on the subject of congratulations and condolences. It deserves it, with the repetition of the words (praise and praise) when sensing the obligations of God, and Ibn Al-Sayrafi presented the praise in a literary and stylistic form in order to serve the meaning of it. The message is according to the Sunnahs of praise in correspondences of all kinds, which he has mastered.

**Keywords:** Praise , Ibn al-Sirafi , Ministry , Messages.

\* Corresponding Author: Noor raad , E.Mail: [Noor.rad@st.tu.edu.i](mailto:Noor.rad@st.tu.edu.i)

Affiliation: Directorate Salah Al-Din Education - Iraq

## بنية التحميد في رسائل ابن منجب الصيرفي (ت 542هـ) دراسة تحليلية

أ.م.د. نور رعد عبد الله

مديرية تربية صلاح الدين

**الملخص:** كان علي بن منجب من كتاب الديوان في القرن السادس الهجري وترأسه في زمن الدولة الفاطمية ، له باع في الكتابة والتأليف ، وقد عرضنا لبنية التحميد في رسائله ، اذ ان التحميد بدأ قصيراً في زمن النبوة والخلافة الراشدة وتطور على يد عبد الحميد الكاتب فأطال في التحميدات وبسط القول وأستمر ذكر التحميد في الخطب والرسائل الى أن وصل الى القرن السادس الهجري على وفق أعراف كتابية بَعده لازمة أساسية للاستهلال ومكماً لبنية الرسالة فكراً وشكلاً ، إذ تنوع العمل به وفقاً للموضوع ولاسيما في ذكر النعم والفضائل التي يحمدها عليها الله ، واستعمال التحميد بصيغته الأسمية أقوى في الاسلوب من صيغته الفعلية لحملها الثبات والقوة ، فضلاً عن تنزيه الذات الالهية ، ويُعزز التحميد بأسلوب السجع والطباق والآيات القرآنية المستشهد بها ولاسيما عند التعامل مع السلطة والموقف الرسمي وحياناً يتكرر التحميد في الرسالة نفسها في موضوع التهئة والتعزية فالحمد لله على قضائه ، والثناء عليه في التقليد والولاية لمستحقها مع تكرار لفظتي ( الحمد ويحمد) عند الاستشعار لفرائض الله ، وقدم ابن الصيرفي التحميد بصيغة ادبية واسلوبية بما يخدم معنى الرسالة على وفق سنن التحميد في المكاتبات بانواعها التي أجاد تحبيرها.

**الكلمات الدالة:** التحميد ، ابن الصيرفي ، الوزارة ، الرسائل .

**مدخل /** لم يكن نتاج القرن السادس الهجري بمعزل عما سبقته من القرون السالفة ولاسيما القرن الرابع الهجري الذي نعت بالعصر الذهبي للأدب ، فقد كتب لنتاج هذا العصر الوفرة في المادة الادبية فضلاً عن الجودة الفنية التي رسخها جمعٌ من الكتاب شكلوا فيما بعد دعامة قوية للكتابة الفنية ، واسست بأسمائهم مدارس أدبية اشير اليها بالبنان ، إذ شكل ديوان الانشاء نقطة فارقة لدى الحكام الفاطميين ، وقد هياؤا له اكابر النحاة واللغويين فيه لمراجعة الرسائل وتنقيحها قبل صدورها ، وكان يلحق بالديوان بعض الشباب للتدريب في علم تجويد الكتابة حتى اذا اتقنها الشاب اصبح من كتاب ديوان الانشاء ، فقد اصبح ديوان الانشاء منارة تشخص اليه ابصار الكتاب والادباء ، فكان هذا الصرح الساحة التي يتبارون فيها ، واضحى معينٌ التجديد في الاساليب الفكرية مركز اشعاع ادبي أثري الادباء واستقطب الرواد وتخرج فيه كثير من ادباء العربية ومن ابرزهم الكاتب ابن منجب الصيرفي(ت542هـ) الذي ترأس ديوان الإنشاء على ما يزيد عن اربعة عقود وقد تناقلت بعض الروايات توليه لذلك الديوان وانه قد تنقل بين مراتبه وصولاً الى زعامته (ميسر، 1981 صفحة 138) ، وان ابن الصيرفي اثبت مهارة وحكمة ترسليه فذة أهلته لتيوي زعامة الديوان ومنافسة عدد من اولئك الكتاب وبلغائهم منافسة شديدة (باقوت، 1993 الصفحات 1971/5-1972) إذ مكنته تلك المقدره من رسم

لوحات فنية أدبية وبلاغية في عهده استطاع ان يثبت مقدره كاتب فذ بما قدمه من نتاجات أدبية وتاريخية شكلت معلماً بارزاً اختط باسم العصر واسمه ، ونظراً لتلك المكانة والاهمية التي حظي بها كاتبنا ابن الصيرفي عمدنا على تقديم هذه الدراسة الأدبية التحليلية الاحصائية التي تعني بالكاتب ونتاجه الادبي ، ولا تفوتنا مواهبه الادبية الأخرى بوصفه شاعراً له شعر ضاع جلّه وبقي أقله وشافعنا أن نذكر ما وقفنا عليه محاولين تقديم صورة عنه .

#### اسمه ولقبه :

ان الباحث عن حياة الكاتب ابن منجب الصيرفي يجد قلة المصادر تناولت ترجمةً لحياته بأستثناء ياقوت الحموي (ت626هـ) الذي افرد له وقفة مقتضبة في معجمه للتعريف بحياته وكذلك ابن ميسر في اخبار مصر (ت667هـ) الذي تناول هو الآخر جزءاً يسيراً من تلك الحياة ، ويمكننا ان نصف المعلومات التي بين أيدينا بالنزرة جدا ، ولكن طبيعة البحث العلمي جعلتنا نستقصي المعلومة بالرغم من قلتها ونوظيفها للاستفادة منها ، إذ تُجمع المصادر على اسمة وهو ((عليُّ بن منجب بن سليمان الصيرفي )) (الصفدي ، دت صفحة 134/22) ولعل الصيرفي يرجع الى مهنة والده فقد ورد ان والده امتهن عمل الصيرفة فيما سبق (ياقوت، 1993 صفحة 1971/5) وكني ابن الصيرفي بابي القاسم (ميسر، 1981 صفحة 138) ولقب بتاج الرئاسة لتوليه ديوان الانشاء بعد وفاة الشيخ ابي الحسن ابن ابي اسامة الحلبي (ت 522هـ) (ميسر، 1981 صفحة 138) ولقب ايضاً بصاحب الرسائل (ميسر، 1981 صفحة 138)، وقيل فيه المصريُّ (الصاوي، 1997م صفحة 304) ، وذكر ابن ميسر ان ولادته تمت بمصر يوم السبت لثمان بقيت من شعبان من عام (463هـ) (ميسر، 1981 صفحة 138) ، وهناك روايتان في تحديد سنة وفاته ، فقد رجح ياقوت انه مات ايام الوزير الصالح بن زريك سنة (550هـ) (ميسر، 1981 صفحة 138)، فيما ذهب ابن ميسر ان وفاته تحققت في يوم الاحد لعشر بقين من صفر من عام (542هـ) (ياقوت، 1993 صفحة 1971/5)، ولم نقف على نصوص ترجح اي الروايتين اقرب الى الحقيقة على الرغم من ميلنا الى انه توفي في هذه السنة لان كثيراً من الباحثين أثبتوا هذا التاريخ (مخلص، 1950م) .

#### نشأته وثقافته :-

نشأ ابن الصيرفي في بيئة علمية كتابية فقد روي ان جده لابيه كان قد عمل في الكتابة ، فمال كاتبنا الى فنها ومهر فيها (بدوي، دت صفحة 343)، وذكر الصفدي (ت774هـ) ان لابن الصيرفي خطأً مليحاً ، وقد ذاعت شهرت خطه أن ذاك (الصفدي ، دت صفحة 143/22)، وعزز ياقوت ذلك بانه سلك طريقة غريبة في خطه لبراعته فيها (ياقوت، 1993 صفحة 1971/2)، أما ثقافته فيمكننا ان نستقرئها من عمله وترأسه لديوان الانشاء الذي تتلمذ فيه ، وقد هيا له ذلك العمل أكتساب ثقافة أدبية وتاريخية انعكست على مصنفاته فيما بعد ، ويشترط ابن الصيرفي جملة شروط على كاتب الديوان، ويمكننا أن نقيس تلك الشروط والمؤهلات على الكاتب ذاته فكان على كاتب الديوان ان يكون حافظاً للقرآن ، وعلى معرفة بالعقيدة ، وراوياً لاخبار

الرسول (ص) والأئمة من ذريته ، عارفا بالحلال والحرام ، ملماً بالعربية والتصريف واللغة (الصاوي، 1997م صفحة 304)، فمن اشترط له تلك الشروط من المسلم ان يكون قد هضمها في ذهنه وعمل بها في منهجه ، وعليه يكون ابن الصيرفي قد ألم بعدد المؤلفات التي هيأته لتلك المهمة الرسمية في الدولة الفاطمية فيما بعد .

#### مكانته ومؤلفاته :-

تمكن ابن منجب الصيرفي من ترسيم خط سير له اهله للوقوف في مصاف الكتّاب والادباء في عصره ، فوصفه ياقوت بقوله : (( احد فضلاء المصريين وبلغائهم ، مسلم ذلك له غير منازع فيه ... اشتهر ذكره وعل شأنه في البلاغة والشعر ...وقد اشتغل بالكتابة )) (ياقوت، 1993 صفحة 1971/5) ، وذهب ابن ميسر انه تفرد بديوان الانشاء فصار فيه بمفرده (ميسر، 1981 صفحة 138) ووصفه ابن سعيد المغربي (ت658هـ) بانه إمام كُتّاب المئة الخامسة في مصر ، ويضيف ان القاضي الفاضل (ت 596هـ) كان قد استمد علمه ومنهجه الكتابي من ترسل ابن الصيرفي ، وكان ذلك بيّن لكل من يمعن في الادب ومتابعته (المغربي، 1973م صفحة 5/1)، وما يعزز تلك المكانة والمقدرة ما حفظته له المضان الادبية في تدوينه اقدم (سجل) له وكان قد اعلن فيه وفاة الخليفة المستعلي بالله عام (495هـ) (الصاوي، 1997م صفحة 304)، وقد قرأ ذلك الكتاب على مسامع كل الامراء والوزراء ، وحينها كان ابن الصيرفي كاتباً ضمن كتاب الديوان لا يتجاوز عمرة الثلاثين سنة قبل أن يت رأس ديوان الانشاء ويتزعمه مما يعكس مقدرة ادبية وملكة بلاغية أهلت له لذلك الامر الجليل .

تدرّج ابن الصيرفي بوظيفته في ديوان الانشاء الى ان ترقى هرمه فقد تواترت الاخبار حول تلك الزعامة فذكر ياقوت ذلك بقوله : ((استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ أبى أسامة عن ديوان الانشاء ويفرد ابن الصيرفي به، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به فقال له: إن قدرت أن تقدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك ولا تخل الدولة منه فإنه جمالها، فأضرب عن ابن الصيرفي، ومات الأفضل وخدم الحافظ المسمى بالخلافة بمصر)) (ياقوت، 1993 صفحة 1971/5) وينقل ابن ميسر خبراً مفاده بانه ((أخذ صناعة الترسل عن ثقة الملك ابو العلاء صاعد بن مفرج ، صاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه الى ديوان الانشاء وبه الشريف سناء الملك ابو محمد الحسيني الزيدي ، ثم تفرد بالديوان فصار فيه بمفرده)) (ميسر، 1981 صفحة 138)، ويذكر الصفدي انه اشتغل بديوان الجيش والخراج مدة ، ثم استعمله الافضل بن امير الجيوش في ديوان المكاتبات ورفع قدره واشتهر (الصفدي ، دت صفحة 143/22) ، واذا ما تتبعنا المدة التي استغرقها كاتبنا ابن منجب الصيرفي في ديوان الانشاء واستنادا على تواريخ موثقة على اعتبار انه بدأ

العَمَل في ذلك الديوان عام (495هـ) أيام الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي كما اسلفنا ، فاننا نقف امام رأيين الاول انه قضى ما يقارب (47) عاما على رواية ابن ميسر بان وفاته كانت سنة (542هـ) وعلى رواية ياقوت الحموي بان نجمه قد أفل عام (550هـ) يكون قد اتم (55) عاما في ديوان الانشاء ، وكلا التاريخين يؤرخ لمدة طويلة قضاها كاتبنا ابن الصيرفي في العمل بديوان الانشاء، وقد كانت تلك الرحلة كفيلة بما انتجه ذلك القلم من مصنفات ادبية وتاريخية اختطت باسم ابن منجب الصيرفي ، فحققت له الشهرة في مجال الكتابة فضلا عن ذبوع عدد من رسائله وقد حفظتها مصنفات الادب ضمن المكاتبات المميزة التي تؤرخ لعدد من الاحداث المهمة وتوثقها ولنا وقفة مسهبة مع تلك المدونات المتنوعة والشاملة .

### مؤلفاته :-

تناقلت المصادر أسماء وعناوين مدونات ابن الصيرفي ومصنفاته التي خطها بقلمه فضلا عن عدد من السجلات والمكاتبات ، وقد عكست تلك المدونات امكانات عالية ومقدرة فريدة لتلك المخيلة ، ولذلك القلم الذي أعزته أنامل كاتب متمرس مقتدر ، جمع كثيراً من الفنون والعلوم المتنوعة ، وقد حرصنا على عرض تلك المصنفات ، معرفين باسمائها ، وتصنيفاتها ، وموضوعات البعض منها ، ولا سيما ما وصلت اليها من تلك المدونات الادبية والتاريخية ، على الرغم من ان الضياع والفقْد قد السّم بالجزء الاكبر منها ، ووقفنا على عنوانات لكتب فقط دون التعرف بمضمونها ، ومن ابرز تلك المؤلفات. (بدوي الصفحات 1971/5-1972، 143/22، 345)

1- كتاب الاشارة فيمن نال رتبة الوزارة ( ورد باسم الاشارة الى من نال الوزارة ) (خلكان، 1994م صفحة 31/7): تناول فيه تاريخ وزراء الدولة الفاطمية ، وسجل فيه اسم كل وزير ، وتاريخ توليه ، وما لقب به ، وما تم على يديه من اعمال ، وقد كتب بطريقة مطلقة دون تقييد سوى بالفكرة التي يريد ايصالها (الجويني صفحة 346، 303)

2- قانون ديوان الرسائل : تحدث فيه عن نظم هذا الديوان وما يجب ان يتوافر في رجاله ، وكذلك يقدم بعض ما يعينهم ، ويرشدهم ، في اعمالهم من الآت ثقافية تؤهلهم لمنصب الكتابة في الديوان فضلا عما يجب ان يتصفوا به من صفات عقلية وخلقية (الصاوي، 1997م صفحة 306)، طبع هذا الكتاب في مصر سنة ( 1905هـ) نقلا عن نسخة خطية في اوربا ، وقد عني بنشره والتعليق عليه المرحوم علي بهجت بك وكيل دار الاثار العربية في القاهرة (حسن، 1950م صفحة 20)

3- كتاب عمدة المحادثة : صنف ضمن الكتب الادبية .

4- كتاب عقائد الفضائل : له نهج خلقي .

5- كتاب استنزال الرحمة : له نهج خلقي .

- 6- كتاب منائح القرائح : صنفه للافضل شاهنشاه ابن امير الجيوش وأورد في هذا الكتاب مدحاً لخلفائهم .  
7- كتاب رد المظالم : له فيه نهج خلقي وتشريعي .  
8- كتاب لمح الملح : ضمن المصنفات الادبية .  
9- كتاب في السكر : ضمن المصنفات الادبية . (بدوي صفحة 346) (الجويني . صفحة 303)  
10- اختيار دوايد بعض الشعراء منها :

- ديوان ابي العلاء المعري

- ديوان ابن السراج

11- رسائل سلطانية انشأها عن ملوك مصر واخرى اخوانية تزيد عن اربعة مجلدات (ياقوت، 1993 صفحة 1972/5) وقيل عشرون مجلداً (المغربي، 1973م صفحة 5/1)، بقي قدر منها منشوراً في خطط المقرئزي ،وصبـح الاعشى ، وحسن المحاضرة  
12- لابن الصيرفي مكاتبات تحمل الصفة الرسمية وكذلك تعد اللسان الناطق باسم الدولة الفاطمية ، فكانت عبارة عن بلاغات رسمية صادرة من القصر الملكي يذاع في ارجاء المملكة ، فضلا عن احتواء تلك المكاتبات وصفاً لكثير من عادات الفاطميين وتقاليدهم احتفالاتهم وقد اطلق عليها اسم السجلات وعرف ببعض موضوعاتها فمنها (بدوي، دت الصفحات 344-345).

أ- سجل كتبه بنقل السنة الشمسية الى العربية ، حتى يمكن جمع الخراج في وقت انضاج الثمر .  
ب- ركوب الخليفة من اول السنة ، اول رمضان ، اول ايام الجمع الثلاث من شهر رمضان الثانية والثالثة والرابعة ، اول ايام عيد الفطر أو عيد النحر ، أو يوم قطع الخليج أو يوم عيد النصر وغيرها .  
هذه التركة الادبية الوفيرة وما تضمنته من تنوع في الاجناس الادبية بين مؤلف وكتاب ترسلي ونظم شعري ، كفيلة بوقفة مسهبة للنظر في مكنوناتها وقد سلطنا الضوء على جانب من مكاتبات ابن الصيرفي وتحديدًا بنية الافتتاحيات وكيف وظف الكاتب التحميد في افتتاح رسائله ، مستعملاً خبرة كاتب متمرس استطاع ان يوظف هذا الجزء لخدمة مقصده ،فضلاً عن اسهامه في رفق بنية البناء الفني للنص النثري بعد ان جعله محورا مفصليا مهماً من مفاصل المتن وقد شددنا على ذلك في دراستنا وقصرناها على التحميد لتنوع اشكال استخدامه في الترسل .

### بنية التحميد في رسائل ابن منجب الصيرفي :

الحمد لغة : نقيض الذم ويقال حمدته على فعلته ،ومعنى الحمد الثناء على الجميل من النعمة وغيرها ، مع المحبة والاحلال (منصور، 1414 هـ صفحة حمد).

اصطلاحاً: هو ان تذكر محاسن غيرك سواء كان ذلك الثناء على صفة من الصفات الذاتية كالعلم والصبر والرحمة ، أم على عطائه وبفضله على الاخرين ،ولا يكون الحمد الا للحي القيوم (السامرائي، 2003م

صفحة 8) وقيل هو (( الثناء على الجميل من نعمة او غيرها باللسان وحده )) . (الاندلسي، 1420هـ - صفحة 3/1)

واورد الشريف الجرجاني عدة تعريفات لاتخرج عما سبق إذ يأتي بالثناء من جهة التعظيم او بما يشعر بتعظيم المنعم بوصفه منعما وكذلك حمد اللسان وثنائه على الحق ، بما اثنى به على نفسه ، وكذلك الوصف بالجميل على جهة التعظيم باللسان (الجرجاني، 2007م صفحة 1560) .

والحمد لله يراد به توجيه الحمد والثناء للحي ذي الصفات الحسنة ، فيوجه الحمد على الصفات وعلى الفعل والانعام ، إذ يتحقق فعل الحمد لما تحصل المحاسن في الصفات والذات، فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد .

وقد نبه رسولنا الكريم على الحمد والثناء بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (( من لم يحمد الناس لم يحمد الله )) (الرازي، 1420هـ - صفحة 1990/1) إذ يخرج حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى ان الحمد يكون على الاحسان والنعمة التي اودعها الله سبحانه وتعالى في بعض عبادته فيكون عليه الحمد متبادلاً في العباد والله سبحانه وتعالى ، فعلى الانسان ان يعرف قيمة الحمد بمعنى مدح الآخرين والثناء عليهم حتى يعرف قيمة الحمد لله على فضله واحسانه .

وإذا ما تتبعنا صياغة التحميد واستعمالها في النثر الفني نقف على تناولها في الخطب ، وقد حرص المتأخرون على الاتيان بالتشهير بعد التحميد ، وعليه يكون التحميد تابعا لصياغة التشهير ومن الاساليب التي اشيع استعمالها حينذاك ( يحمد امير المؤمنين ، حمداً لله ) (القلقشندي، 1987م صفحة 217/6) وغيرها وبذلك يكون التحميد والتشهير صياغة واحدة وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (( ان كل خطبة ليس فيها تشهير فهي كالجذماء )) (المنائي، 1356هـ - صفحة 9/1)، فيكون التحميد عنصراً مهماً من عناصر الخطبة واهماله يشوه تلك الصورة ويجعل فيها مثلبة .

ثم أنتقل التحميد من الخطب الى الرسائل ، وقد تواتر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته من الخلفاء (رض) استعمال التحميدات القصيرة في كتبهم ، ومثال على ذلك ما استعمله نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) في احد كتبه (( فاني احمد الله الذي لا اله الا هو )) (نصار، 2005م صفحة 44) وظلت هذه العبارة مستعملة فيما بعد وقد يزداد عليها فيقال فيها (( فاني احمد اليك الله حمداً بالغاً في رضاه )) (نصار، 2005م صفحة 79) ، وقد أخذ الكتاب التحميدات بصدور رسائلهم وتعملوا فيها وكانت التحميدات من أهم الاجراءات التي اولاهما الكتاب الأهمية والتأنق فقد ورد ان المهلب بن ابي صفرة عني بالتحميدات واطال فيها (( كانت التحميدات من اثر كتب النبي والصحابة وخطبهم فقد كانت تبدأ بالحمد ، ولكنه كان حمداً قصيراً موجزاً فلما اتى المهلب أطال قليلاً ولما اتى عبد الحميد اسهب واطنّب فيها )) (نصار، 2005م صفحة 82)،

إذ يعتني عبد الحميد الكاتب بهذا الفن الكتابي ويتفنن فيه فأخذ يضع له قواعد التي عدت خطة سير شرعها عبد الحميد الكاتب للكاتب فيما سبق ، فنسب إليه انه اول من اطل في التحميدات إذ يفرد لها فصولا تامة في كتبه ولا سيما كتب الفتوحات والتهنئة (صفوت، 1937م الصفحات 50-51-52)، فلتحميد أهمية واثري في النفوس يقول العسكري ((لهذا جعل الابتداءات بالحمد لله لان النفوس تشوق للثناء على الله فهي داعية الى الاسماع )) (العسكري، 1419هـ - صفحة 496) ومن ثم بدأت التحميدات تتكرر عدة مرات في الكتاب الواحد ولاسيما عند كتاب القرن السادس الهجري (ورد عن لقاضي الفاضل انه استعمل التحميدات ثلاث مرات في المكاتب الواحدة) (الشيال، 2002م صفحة 130) مما هيا لها الدخول ضمن بناء النص النثري فكثيرا ما اصبحت صياغة التحميد الموسوع الذي يمهد لموضوع الكتاب الانشائي ، ومن بين كتاب القرن السادس الذين عنوا بهذا الفن الترسلني الكاتب ابن منجب الصيرفي الذي وشى مكاتبته بالتحميدات وحرص على الاطالة فيها والاسهاب في بنائها إذ نقف له على عدد من المكاتب الرسمية وغير الرسمية تبرز فيها صياغة التحميد التي تعكس مقدرة الاديب على اشغال هذا العنصر داخل عمله الادبي وتسخيره لتأدية معنى محوري في مضمون تلك الكتب ، وتتوعد مصنفات ابن الصيرفي بين كتب رسمية ديوانية واخرى اخوانية سياسية ، وسنحاول في بحثنا هذا دراسة منهجية فنية لبنية التحميد في مكاتب ابن الصيرفي الديوانية وموضوعاتها .

تبرز صياغة التحميد في مكاتب ابن الصيرفي الديوانية ولاسيما تلك المكاتب التي تعني بالشؤون السياسية للدولة الفاطمية ، إذ تختص الكتب الرسمية بالتحميد دون غيرها من المكاتب الاخرى لما تحمله تلك المكاتب السلطانية من أمور لائقة بالتحميد كالتهنئة بالولاية او الفتوحات ، او هزيمة الاعداء وغيرها (الاثير، 1420هـ - صفحة 233/2)، ومن كتاب كتبه ابن الصيرفي عن الخليفة الامر بأحكام الله الى ولاية الاقاليم بوفاة الخليفة المستعلي وولاية ولده الامر يقول فيه : (( الحمد لله المتوحد بالبقاء ، القاضي على عباده بالفناء ، الذي تمجد بالازلية والقدم ، وتفرد بالوجود وتنزه عن العدم ، وجعل الموت حتماً مقضياً على جميع الامم ... )) (القلقشندي، 1987م صفحة 240/8).

يُصدّر ابن الصيرفي صياغة التحميد في بناء كتابه الترسلني ، فيجعل منها تمهيداً للدخول في غرضه الاساس والمتضمن اعلام ولاية الاقاليم بوفاة الخليفة الفاطمي المستعلي بالله :

المتوحد بالبقاء

القاضي على عباده بالفناء

تمجد بالازلية والعدم

الحمد لله

— تفرد بالوجود

جعل الموت حتما على الامم

جاء استعماله لصياغة التحميد بعبارة ( الحمد لله ) بدلالاتها الاسمية وما تحمله هذه العبارة من الثبات والاستقرار يضيفي على الجملة تعزيراً ودعماً لموضوع العرض ، ثم تعليقه لصياغة الحمد بجملة من الصفات التي تنتزه بها الذات الالهية وتنفرد بها ، تعطي تقوية للإيمان وتعزيراً لليقين في نفس المقابل ، وهو ما عزم الكاتب بثه وتعميمه في نص كتابه اعلاه فجاءت التراكيب ( المتوحد بالبقاء -القاضي بالفناء - تمجد بالازلية - تفرد بالوجود - جعل الموت حتما ) موحية معبرة عن مكنون يرمي الكاتب الى ترسيخه في النفوس فضلا عما يحمله من تذكير بان الخلود لله وان مصير الانسان الفناء لامحاله ، وقد افصحت هذه المقدمة المتشحة بالحمد والثناء عن موضوع الكتاب وهو الابلاغ بوفاة الخليفة.

إذ ادت التراكيب الاسمية والفعلية التي حرص الكاتب على تداخلها بما يرمي الى غرضه 0

الحمد لله ————— للمتوحد ، القاضي ، تمجد ، تفرد ، مع ثبات معانيها الاسمية وصفاتها (البقاء ، الفناء ، الازلية ) إذ إن محمولها الموضوعي المقترن بعبارة الحمد في وصف الذات الالهية وثبات ذلك الوصف وتعزيده بما يتلاءم ومناسبة ايراده ، فضلا عما تحمله التراكيب ذاتها من صياغة التضاد البلاغية ( البقاء / الفناء ، الازلية والوجود / الموت ) تشخيصاً لثنائية الموت والحياة التي وطدتها عبارة الحمد والثناء في تهيئة تحقيق أفق توقع المتلقي لما سيؤول اليه الخطاب الترسلّي فيما بعد والمقتضي بأعلان وفاة والي المسلمين وخليفتهم والرجوع الى مقتضى الحق بالموت واستقباله برضى.

ويُعمل الكاتب خمسة فواصل في مضمون بنية التحميد التي افتتح بها كتابه السالف جاءت الفاصلتان الأولىّتان متوافقة في العدد وحروف السجع

الحمد لله المتوحد بالبقاء  
القاضي على عباده بالفناء

التوافق في الصيغة الصرفية (فعاء) ، و حرف السجع الالف التي  
شبعّت بالمد والهمزة للتأنيث في التعادل المتوازي بين اللفظتين

يدبر ابن الصيرفي فواصل تحميده في تكرار المعنى الذي اجتهد على ايصاله وقد عملت السجعة بالالف المنقلبة الى الالف الزائدة للتانيث من جذب لانتباه المتلقين وشد هم تجاه امر ليس باليسير ، ثم يردفها بالجمل الثلاثة اللاحقة والتي جاءت متباينة من حيث الطول متوافقة في حرف السجع الميم :

الذي تمجد بالازلية والقدم  
وتفرد بالوجود وتنزه عن العدم  
وجعل الموت حتما مقضيا على جميع الامم

التباين الذي عمل عليه ابن الصيرفي بنيته في التحميد والذي يقضي بزيادة التراكيب بعضها على البعض الآخر إذ نجد الكاتب لايسير على وتيرة واحدة بل ينوع في تراكيبه من قصيرة لتكون أطول ؛ وذلك ليسبغ عليها نغما صوتياً معززا باللواحق المجرورة والمضافة المختومة بحرف السجع الميم المكسور ( القدم – العدم – الامم) ليتوافق مع حالة الالم والحزن التي تكتنف الموقف الرسمي حينذاك ، ثم الوعظ للاحياء بعدم البقاء في الدنيا الفانية سوى الله الذي تمجد بالازلية وتفرد بالوجود وجعل الموت حتماً مقضياً على الجميع . ويختتم ابن الصيرفي فقرة التحميد بالتناسل القرآني بقوله ( وجعل الموت حتما مقضياً) اشارة الى قوله

تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ **ويم: ٧١**

فلا يخلو هذا التناسل من محمول موضوعي وعظي وظفه الكاتب واجاد توظيفه وكأنه يطرق ناقوس التذكير والتحذير لمن سيتولى الامر فيما بعد ليلتفت الى المصير المحتوم .

ويحرص ابن الصيرفي على تكرار الحمد في الكتاب نفسه فيقول : ((...يحمده أمير المؤمنين على ما خصه به من الامامة التي قمصه سربالها ، وورثه فخرها وجمالها ...حمد شاكر على جزيل العطية ، صابر على جليل الرزية ، مسلم اليه في الحكم والقضية )) (القلقشندي، 1987م صفحة 240/8).

ينتقل الكاتب في توظيف بنية التحميد من موضوع التأيين والتعزية أولاً وتكرارها في موضوع تقليد الولاية وتسلمها في هذا الموقف في مجال التهئة بما يوجب بنية التحميد ان تقوم على تكرار الحمد والشكر والثناء لله سبحانه وتعالى لذلك يوجه ابن الصيرفي عبارة الحمد بصياغتها الفعلية التي تدل على التحول والحركة والاستمرار منسوبة الى امير المؤمنين .

(يحمد امير المؤمنين ...حمد شاكر ) يعمل التحميد بين صياغتين الصياغة الفعلية ومصدرها، لتوكيد التحميد بالمصدر،

يحمد امير المؤمنين \_\_\_\_\_ على الامامة ...

الدلالة الفعلية خصت (الحمد) بالفاعل الذي اعمله بصيغته المكررة بالوصف الرسمي ( أمير المؤمنين)، دون وصف آخر غيره وهي تدل على استشعار الفاعل الحامد لنعم الله سبحانه وتعالى والتي منَّ بها عليه ، فضلاً لما يحمله الفعل المضارع ( يحمد) من دلالة زمنية تدل على الحال والاستقبال ، بمعنى انَّ ( امير المؤمنين) مستمر في الحمد ما دام في الخلافة ، إذ اقترن الحمد واختص بنعمة الامامة التي كرم الله سبحانه وتعالى امير المؤمنين بها وقد حرص الكاتب على وصفه تلك النعمة بقوله :

ما خصه به من الامامة  
فمكحه سر بالها  
ورثه فخرها وجمالها  
يدير الكاتب الضمائر فيحصرها بين  
الخليفة والامامة

عمل الكاتب على تعزيز تلك النعمة من خلال ما ساقه من صفات حصرها بالامامة وقد عملت الضمائر المتصلة التي تعود على المتقدم والمراد بها ولاية امر المسلمين في ( سر بالها ، فخرها ، وجمالها) مستعملا الفعلين ( فخص – ورث) عنده لغاية وقد زادت الوراثة وصفاً زائداً بما اشتملت عليه من جراء العطف ليعطي تكراراً سائغاً يعزز من ذلك الوصف ويخصه بشخص الخليفة ومن ثم يُخرج صياغة الحمد متناسبة وحجم النعمة التي اقترنت بالخليفة واختصت به عن سواه .

ثم يؤكد صياغة التحميد بالمصدر (حمد) المضاف الى اسماء الفاعلين ( شاکر ، صابر ، مُسَلِّم)

وجاء المصدر المضاف الى ياء الفاعلين  
شاکرٍ على جزيل العطية  
حمد

( شاکر - صابر (وزن فاعل) - مُسَلِّم (وزن فاعل) )\*

من اضافة المصدر للمؤكد صابر على جليل الرزية الدالة على الحال والاستقبال وبما يوافق الموقف بالوفاء

الى معموله والرزية التي حتمها قضاء الله وبين الشكر على خلافته

← مُسَلِّمٍ اليه في الحكم والقضية بما وهبها الله للخليفة الجديد فجعل الخلافة ( عطية )

توجب الشكر

\* (اسم فاعل من غير الثلاثي على وزن فعله المصوغ من فعله الرباعي بابدال خرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر )

ينوع الكاتب في استعماله لبنية التحميد فيوظفها في النعمة ، وفي الرزية فعندما يعملها مع النعمة يقرنها (بالشكر) الذي يتوافق مع العطايا والنعم والمراد بها ولاية امر المسلمين ، وعندما يعملها مع الرزايا والنوازل يقرنها (بالصبر) ، ثم التسليم بقضاء الله وأمره ويريد بها وفاة الخليفة المستعلي ، وقد اجاد ابن الصيرفي استعماله لبنية التحميد في معنيين متناقضين (التعزية والتهنئة) في كتاب واحد والجمع بين التهنئة والتعزية في مقام واحد ومقال محدد يكون صعباً على المعزي لقلة الكلام عليه (رشيق، 1981م صفحة 155/2) ، في معنيين وموقفين متضادين.

ومن كتاب آخر كتبه ابن الصيرفي في التهنئة بالخلافة مستعملًا التحميد في بنية الكتاب الترسلية يقول فيه (( أما بعد ؛ فالحمد لله مولى المنائح من نعمه ، ومجزل العطايا من مواهبه وقسمه ، ومعوّد صنع الجميل من لطفه وكرمه ،الذي له الحكم الظاهر عدله ، ولديه الطول الفائض فضله...)) (القلقشندي، 1987م صفحة 242/2).

يعمل الكاتب صياغة التحميد بعد عبارة التخلص (أما بعد) فيجعل صياغة التحميد مدخل لموضوع التهنئة بالخلافة مباشرة فكأنها من متن الكتاب مستهلاً بها :

مُولى المنائح من نعمه	الحمد لله
مُجزل العطايا من مواهبه وقسمه	

مُعَوِّد الصنع الجميل من لطفه وكرمه

ينهض الكتاب على استشعار النعم والتوجه بالحمد لله على ما منح واغدق فعبرت الالفاظ ( مولى ، مجزل ، معود) على حجم النعم واغداقها على المقابل ثم يحرص على تشخيص ذلك العطاء والذي حصره بيد الله سبحانه وتعالى وقد اورد بعض العبارات بصيغة منتهى الجموع

(مفاعل) ( المنائح ) ثم صيغة جمع التكسير ( العطايا ) ثم المصدر (صنع) ليتناسب مع صياغة التحميد الاسمية وما تدل عليه من الثبات والاستقرار وجاءت السجعة موحدة في نهاية التراكيب بحرف السجع الميم المختوم بالضمير العائد الى اسماء المفاعيل ( مولى - مجزل - معود) وهو الله سبحانه عز وجل في تباين بين من حيث الطول بين تلك التراكيب وملحقاتها وقد اضى هذا البناء الفني نغماً موسيقياً يعمل على جذب انتباه المتلقي ، وتعزيزه لما يرمي الكاتب في الافصاح عنه لان السجع يبدأ قصيراً وتطول الثانية على الاولى قليلاً وكذلك الثالثة على الثانية قليلاً ، فيكون ذلك أجمل لان اللواحق من وصف الصنع (بالجميل) وعطف ( قسمة - وكرمه) على الجار والمجرور تأكيداً لاحالة ذلك الى الله تعالى وكذلك كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى وهذا ما يعزز قيمة الحمد .

ومن مكاتبات ابن الصيرفي ما تناول بها جانب خاصة من حياة أمير المؤمنين وقد شكلت بنية التحميد محورا اساساً في تلك المكاتبات منها رسالته يصف بها شهر رمضان قوله في احداها : ((الحمد لله ناشر لوائه في الاقطار ، ومعوض المطيعين في جزائه ببلوغ الاوطار ، الذي نسخ الافطار بالصيام ونسخ الصيام بالافطار ، وكلف عباده ما يطيقون ووعد عليه جزيل أجره ، واسبغ من نعمه ما لايطمع في القيام بواجب حمده عليه وشكره )) (القلقشندي، 1987م صفحة 240/8) يشكل الصيام حدثاً اسلامياً عظيماً وهو فريضة الله تعالى على المسلمين ، ورسالة ابن الصيرفي في هذا الاطار لاتخلو من وازع تثقيفي في الحث والتشجع على الصيام لذلك نستقرئ في مثل هذه المكاتبات بث روح التنافس على تطبيق الشعائر الدينية التي تخص المسلمين وعامة الشعب ، فخص الكاتب فضل هذا الشهر الفضيل بالتحميد وقد حصر التحميد بين عبارتين ( الحمد لله ....واجب حمده عليه وشكره ) وبين هاتين الصيغتين يحرص على بيان فضل هذا الشهر وهذه الفريضة التي ادارها بين الفرض، والواجب والوعد والجزاء ، إذ حرص الكاتب في بناء تحميده على الانتقال من صياغة التعميم الى التخصيص :

ناشر لوائه في الاقطار / الصيام فريضة على الجميع

الحمد لله ————— مَحْوُصُ الْمُطِيعِينَ فِي جَزَائِهِ بَبْلُوغِ الْاَوْطَارِ/ الْعَوْضُ لِلْمُطِيعِينَ  
————— نَسْخُ الْاَفْطَارِ بِالصِّيَامِ / الْاَفْطَارِ عَمُومٍ وَقَدْ قَدَّمَهُ ، لِأَنَّ اشْهَرَ السَّنَةِ يَبَاحُ فِيهَا الْاَفْطَارُ  
الْاَفِي رَمَضَانَ

←

ونسخ الصيام بالافطار / تخصيص ليس الجميع صائم

ثم يتجه في بناء حمده على مبدأ الاثابة والجزاء والقدرة

القدرة : كلف عباده ما يطيقونه

الجزاء : وعد عليه جزيل اجره

الاثابة : اسبغ من النعمة

أما السجع الحاصل في الكتاب فقد جاء متبايناً في الاستعمال على الرغم من اختتام التراكيب الخمسة التي اشتمل عليها التحميد على حرف سجع واحد هو حرف (الراء) ، فالسجعات الثلاثة الاولى اختتمت بحرف (الراء) المسبوق بالف المد هي صيغ صرفية على وزن فعال ( الاقطار ، الاوطار ، الافطار ) فشكل وقعا موسيقيا قويا لما يحمله حرف الراء من صوت ارتدادي جهوري ، إذ جاءت متوافقة مع موضوع ايرادها في بيان اهمية هذا الشهر ومكانته العظيمة ، وجاءت السجعتان الاخيرتان بصيغة صرفية اخرى وبحرف الراء ايضا ( أجره ، شكره ) وكان وقع حرف السجع اخف ارتداداً صوتياً ولعل هذا الاستعمال جاء متوافقاً مع الحديث عن فضائل هذا الشهر ونعمه فضلا عن اضافة المصدرين (أجر – شكر) الى الضمير العائد الى شهر رمضان مما خفف من ارتداد حرف الراء عند النطق .

وله كتاب آخر في ركوب امير المؤمنين الى صلاة العيد فيقول فيها : (( أما بعد فالحمد لله الذي رفع بأمر امير المؤمنين عماد الايمان ، وثبت قواعده ، وأعز بخلافته معتقده ، وأذل بمعابته معانده ، واطهر من نوره مان انبسط في الآفاق ، وازال معه الاظلام ، ونسخ به ما تقدمه من الملك فقال ان الدين عند الله الاسلام ، وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباھيه واوجب دخول الجنة... )) (المقريزي، 1418هـ صفحة 375/2) .

سجل ابن الصيرفي في حمده الله الثناء على أفعال امير المؤمنين لالتزامه بأحياء السنن التي حث عليها الرسول (ص) والدين الحنيف ومن ضمنها صلاة العيد التي قرن بها بدخول الجنة ، ونجد الكاتب وظف التحميد في ابراز هذه الشعائر كونها عقائد دينية تخص المسلمين وتوجيهه الى عامتهم ويجب عليهم اقامتها ولكون الخليفة أعلى ركن بالدولة فيقامة هذه الشعائر تعد من مستلزمات واجبة وتطبيق فريضة كونها من مقومات

الفرائض الإسلامية ، إذ يحرص الكاتب على بيان مكانة الخليفة من خلال سلسلة الأفعال الماضية التي اردف بها صياغة التحميد فجاءت الأفعال (رفع ، ثبت ، اعز ، اذل ، اظهر ، ازال ، نسخ ، جعل ) والتي اخلصها للفاعل المستتر والمراد به الله سبحانه وتعالى فضلا عما تحمله من معنى التمكين والتعزير و الصياغة الزمنية المتحصلة بحكم الزمن الماضي فوجب الحمد لله على ما خص به المفعول به والمراد به الخليفة ، ولم يقف الكاتب عند الصياغة الفعلية فحسب بل نجده يعتمد الأفعال الماضية التي ساقها ضمن الطباق ليضفي على وصفه عمق الاثر لما تتركه الالفاظ المتضادة من ايصال للفكرة وعمق الافصاح ، فجاءت المتضادات بين ( رفع – ثبت ، اعز - اذل ، اظهر – ازال ) لتقوية الطرح وترصينة وقد عكس التضاد بين لفظتي ( النور – الظلام ) تشخيصا لتكريم تلك الايام المباركة ، والحث على اتباع سننها وتقليدها والذي توافق بدوره مع الصياغة الاسمية في التحميد والدلالة على الاستقرار والثبات ، وكذلك يوظف الكاتب التناص في موضعين الاستعمال الصريح المباشر والاشاري ، فيعرضه في سياق الكتاب بصياغته الصريحة بقوله ( ان الدين عند الله الاسلام ) في تناص قرآني مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

الإِسْلَامُ ۗ ﴾ (ال عمران :19) وما يحمله القول من قصر الدين على الاسلام عند الله تعالى في اشارة الى

تطبيق شعائره على عدّ ان عيد الاضحى متمم لفريضة الحج الاكبر الدال على قوله تعالى وهي من ضمن فرائض اركان الاسلام الخمسة ، وينتقل في موضع لاحق في التناص الاشاري الدال على قوله تعالى (جعل

المعتصم بحبل الله...) متناص مع قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾

(ال عمران : 103) وهنا يحث على التمسك بتلك الشعائر ، مفضلاً المسلم على غير ومفاخراً به غيره من الخلق.

ومن الكتب التي كتبها ابن منجب الصيرفي كتاب الاعتذار كتبه الى الوزير الافضل بعد ان غضب عليه ، وقد وظف الكاتب التحميد في تصدير كتابه فجاء لخدمة مقصده وعمد اليه بعد أن حقق الكتاب مبتغاه، وهو تحقيق الصلح الذي طمح فيه يقول في كتابه : (( الحمد لله راحم خلقه وان عظمت ذنوبهم، وكاشف ضرهم، فيما يطرقهم وينوبهم والمتفضل عليهم بنعمه وهم غافلون ، والقائل في محكم كتابه { وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون } (الصيرفي، دبت صفحة 1/1)

وظف ابن الصيرفي بنية التحميد ، في هذا الكتاب معادلاً موضوعياً (طريقة للتعبير عن الانفعال من خلال مجموعة من المواقف والاحداث التي تعمل على اثاره الاستجابة الانفعالية ) (اليوت، 1966م صفحة 82) استعمله للتعبير عن حالة الألم واليأس والاحباط التي أمتلكته وألمت به بعد خلاف الخليفة له ، وقد رسم صورة ذلك الذنب الذي اقترفه فجاءت العبارات ( عظمت ذنوبهم ، يطرقهم وينوبهم ، غافلون عن النعم )

أقرراً منه بالذنب ونكران الجميل ، ثم يلجأ الى الاستعطاف وطلب الرحمة والتي ادارها داخل بنى تحميده الذي صدر به كتاب العفو قانلاً:

ولن عظمت ذنوبهم	رحم خلقه	الحمد لله
فيما يطرقهم وينوبهم	كاشف ضرهم	
بنعمه وهم غافلون	متفضل عليهم	

يُعمل الكاتب من التحميد وسيلة لكسب تعاطف الخليفة فيديره في لغة العفو وطلب المسامحة والرحمة وقد حرص الكاتب على التذكير بصفات الله سبحانه وتعالى من باب الشفاعة وطلب المغفرة ، فضلا عن التراكيب اللفظية التي وظفها في تحميده فجاءت صياغة التحميد الاسمية ( الحمد لله ) الثابتة المستقرة مع صياغة اسم الفاعل ( راحم ، كاشف ، متفضل ) بما تحمله من تحول الى الحال والاستقبال وليسبغ على وصفه تحقيقاً ثابتاً وترسيخاً حقيقياً لتلك السمات الربانية السمحة التي تخص العباد ، ويختتم ابن الصيرفي تحميده بتناص قرأني مباشر اداره كمعادل موضوعي آخر وجد فيه خير معبر عن حالته الحالكة ازاء ذلك

الخصام فجاء قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

( الشورى : 25 ) اقرراً بالذنب الذي قرنه بالتوبة فضلا عن افعاله السيئة ، لذلك يطلب الصفح ، وقد عزز التناص تصديره التحميدي وكان ايراده بهذا التوافق من باب التكرار لغاية تعزيز الطلب وتأكيده فضلا عما يعكسه من صعوبة الحدث واستحاله مما دعا الكاتب الى لغة لاتخلو من الوسيلة والاستشفاع بلغة استعطاف واسترحام ، وقد تحقق مبتغاه بقبول الخليفة لأعتذار ابن الصيرفي ومسامحته .

ويلجأ ابن الصيرفي الى استعمال المعاني الجديدة وغير الشائعة في البنية التحميدية ومنها قوله في احد كتبه : (( الحمد لله خالق الأنام في بطون الأنعام ومصورهم بحكمته فيما يشاء من الارحام ومخرج الناطق من الصامت مع اختلاف الاشكال وتباين الاجسام ، أبانة على ما هو آتية فيما ابتدع، وإظهاراً لما استحال في العادات وامتنع ليدل على ان قدرته أبعد غاية مما يتخيله الفكر ويتوهمه ، وان مصنوعات شواهد وحدانيته لمن يتبين معجزها ويتفهمه...)) (الصيرفي، دت الصفحات 23-24)

نحا ابن الصيرفي في بناء التحميدية منحى مخالفاً عما دأب عليه في كتابه التحميد في ترسله الانشائي التي تُعمل التحميد عادةً في باب الشكر والثناء لله على النعم واسباغها على العباد ، غير ان ابن الصيرفي اتخذ هذه وسيلة للتذكير والتهويل غاية في ايقاظ الموعظة والإنذار من وعيد يغفله المتلقي ، وربما لجأ ابن الصيرفي الى هذا الامر من أجل إبانة مقدرة الله تعالى في أفعاله والاتعاض بقدرته على خرق العادة التي تتجاوز حدود العقل البشري فجاء الافتتاح بصياغة التحميد بقوله :

الحمد لله ————— خالق الانام في بطون الانعام  
الغرض الرئيس من الرسالة في حدوث  
غير المتوقع والمعقول على وفق السنن  
والاعراف المعلومة

في هذا التحميد نجد مخالفة المنتوج لمخالفة الناتج فمن غير المعقول والمتصور أن ينشأ الإنسان في بطون الحيوان (أنام) (أنعام) ففي الكلام ما يظلل الفهم ويستوقفه ، لما يحتويه من فكرة ينكرها العقل ولا يسلم بها

، إذ نستقرئ من التحميد ما يحمله على الانذارات المنبهة الموقظة والانبهار بالابداعات التي تضمنت بالغ الموعظة ، فضلا لما تحمله من تحذير لمن أقام على الاثام من المنافقين والتذكير بيوم يؤخذ المجرمون فيه بالاقدام والنواصي ، فلسان حاله يقول تأملوا يامعشر المسلمين يرحمكم الله ، هذه الحادثة وما أشتملت عليه من الوعيد ، أي تدبروا ما نطق به لسان التخويف للقريب والبعيد ، وابن الصيرفي في هذا التحميد يلتقط المعاني الادبية النادرة ويحسن صياغتها بدلالات دينية ، وتوظيفها داخل النص مما يعطي للنص قيمة فنية رائعة فيها من الجدة والابتكار ما لم يحسن التعبير عنه سوى كبار الكتاب

ويستمر في الافصاح عن الصورة التي ابتدأ بها تحميده ليقر ان الله سبحانه وتعالى قادر على تجسيد تلك الصورة وتشخيصها تبعا لتداعيات تمكّنه ومقدرته جلّ و علا ، لينتقل الكاتب الى الاعلان عن الصورة النادرة في عملية الخلق والانشاء الى صورة ثانية يعمل فيها التضاد بقوله (ومخرج الناطق من الصامت مع اختلاف الاشكال وتباين الاجسام) الثنائية بين (النطق والصمت) مع صياغة اسم الفاعل (مُخْرَج) التي تحيل الى ما وعد الله به عباده الفاسقين بقوله تعالى ﴿ اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ اَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ

﴾ . وقوله ايضا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وِلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ ﴾ (النور : 42) ، فالارجل

والايدي صامته ومتباينة الاشكال وهذا ما اراد ابن الصيرفي التذكير به ولاسيما وانه جلّ وعلا قد وعد اولئك بالعذاب الشديد ، وقد عزز ذلك الوعيد بما تناوله من الافعال و المصادر ( ابتدع - اظهار - استحال ) التي تحمل معنى الاستحالة والاستبعاد وهذا الامر لا يتحقق الا الله سبحانه وتعالى وبدوره يتوافق مع موضوع التحميد الذي عرضه ، والذي يدور في اطار لفت النظر الى حالة خلق الله التي تستحيل في الامور الطبيعية في باب التهويل والتذكير للمقابل بحالة قدرة الله وصنعه .

كان هذا عرضا للاسلوب الترسلي لابن منجب الصيرفي المستهل بالتحميد وهو يدبر الكتاب الانشائي في أسلوب ادبي رفيع ، ولاسيما في الافتتاحيات وقد شكلت البنية التحميدية مرتكزا اساساً في ذلك الاسلوب الترسلي وقد عرضناه ووقفنا على طرائق عرضه وتباين تراكيبه ، فكان حصيلته ان ابن الصيرفي كان حريصا ان ينوع في تلك الافتتاحيات التحميدية وكثيرا ما يسخرها تبعا لتداعيات الموضوع الذي يسبر أغواره فنجد الشاكر لنعم الله، والذاكر لأمر الله، والمستشعر لفرائضه تعالى ، وكذلك كان الواعظ والموظف لمن غفل قلبه وزل قدمه ، وقد شغلت البنية التحميدية محاور تلك الموضوعات كلها فضلاً عن أن التحميد تحول الى سمة اسلوبية يتعامل معها الكتاب على وفق ما يرونه مناسباً لموضوعاتهم بما يخدم المعنى المنشود الموافق لتوجيهات السلطة وما يعلي شأنها وهذا ظاهر في الرسائل الديوانية التي حبرها ابن الصيرفي أبان تعامله معه في مداخل الرسائل بما يجري من سنة التحميد وتطوره في فصول الرسائل بداية وختماً.

## المراجع

[كتاب].

[كتاب] / المؤلف بهجت ، علي بهجت.

[كتاب] / المؤلف مريم.

المنتقى من اخبار مصر ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام ، [كتاب] /

المؤلف ميسر ، بدوي ، احمد. - مصر : دار النهضة ، د.ت .

البحر المحيط في التفسير [كتاب] / المؤلف حيان ، ابو حيان الأندلسي. - بيروت : دار الفكر ،

1420هـ.

التراث والموهبة الفردية من الشعر بين نقاد ثلاثة [كتاب] / المؤلف اليوت. - بيروت : دار الثقافة ،

1966م.

- التعريفات [كتاب] / المؤلف الجرجاني ، علي بن محمد الجرجاني. - القاهرة : القدس للتصدير ، 2007م .
- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، [كتاب] / المؤلف بدوي ، احمد بدوي ، ،  
الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، ملامح الشخصية المصرية [كتاب] / المؤلف بدوي ،  
الجويني.
- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام [كتاب] / المؤلف بدوي ، احمد بدوي. -  
مصر : دار النهضة، د0ت.
- العمدة في محاسن الشعر وادابه [كتاب] / المؤلف القيرواني ، ابن رشيق. - بيروت : دار الجيل ،  
1981م .
- القانون في ديوان الرسائل ، الاشارة الى من نال الوزارة [كتاب] / المؤلف بهجت ، علي بهجت ،  
عبدالله مخلص. - مصر : [اسم غير معروف]، 1950م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر [كتاب] / المؤلف الاثير ، ضياء الدين بن الاثير. - بيروت :  
المكتبة العصرية ، 1420هـ.
- المرقصات والمطربات [كتاب] / المؤلف المغربي ، ابن سعيد المغربي. - بيروت : دار احمد محيو ،  
1973م.
- المنتقى من اخبار مصر [كتاب] / المؤلف ابن ميسر. - القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار ،  
1981. - المجلد د.ط .
- المنتقى من اخبار مصر ، معجم الادباء ، الوافي بالوفيات [كتاب] / المؤلف ابن ميسر ، الحموي ،  
الصفدي. - بيروت : دار احياء التراث ، د.ت .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار [كتاب] / المؤلف المقرئزي ، احمد بن علي المقرئزي. -  
بيروت : دار الكتب العلمية، 1418هـ.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار [كتاب] / المؤلف المقرئزي ، احمد بن علي المقرئزي. -  
بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418م.
- الوفي بالوفيات [كتاب] / المؤلف صلاح الدين الصفدي . - بيروت : دار احياء التراث العربي ،  
د0ت .
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة [كتاب] / المؤلف صفوت ، احمد زكي صفوت. -  
القاهرة : بيروت، 1937م.
- صبح الاعشى في صناعة الانشا [كتاب] / المؤلف القلقشندي ، احمد بن علي القلقشندي. -  
بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987م .

- صفحات من الادب المصري من العصر الفاطمي الى النهضة الحديثة [كتاب] / المؤلف حسن ، عبد الحميد حسن. - مصر : دار الفكر العربي ، 1950م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير [كتاب] / المؤلف المناوي ، زيد الدين محمد المناوي. - القاهرة : مكتبة التجارة الكبرى ، 1356هـ.
- كتاب الافضليات [كتاب] / المؤلف الصيرفي ، علي بن منجب الصيرفي. - د.ت.
- كتاب الصناعتين [كتاب] / المؤلف العسكري ، ابو الهلال الحسن العسكري. - بيروت : المكتبة العصرية ، 1419هـ.
- لسان العرب [كتاب] / المؤلف منصور ، محمد بن مكرم بن علي ابن منصور. - بيروت : دار صادر ، 1414هـ.
- لمسات بيانية في نصوص التنزيل [كتاب] / المؤلف السامرائي ، صالح بن فاضل السامرائي. - الاردن : دار عمار ، 2003م.
- مجموعة الوثائق الفاطمية [كتاب] / المؤلف الشيال / جمال الدين. - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 2002م.
- مجموعة الوثائق الفاطمية [كتاب] / المؤلف السيال جمال الدين الشيال. - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 2002م.
- معجم الادباء ، ارشاد الارب الى معرفة الاديبي [كتاب] / المؤلف الحموي شهاب الدين بن ياقوت. - بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1993. - المجلد ط1.
- معجم الادباء ، الوافي بالوفيات ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية [كتاب] / المؤلف الحموي ، الصفدي ، بدوي.
- مفاتيح الغيب [كتاب] / المؤلف الرازي ، ابو عبدالله محمد الرازي. - بيروت : دار احياء التراث ، 1420هـ.
- ملاحح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع الهجري [كتاب] / المؤلف الجويني ، مصطفى الصاوي. - مصر : دار النهضة ، 1997م .
- نساء الكتابة الفنية في الادب العربي [كتاب] / المؤلف نصار ، حسن نصار. - القاهرة : [اسم غير معروف] ، 2005م .
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان [كتاب] / المؤلف خلكان ، شمس الدين ابن خلكان. - بيروت : دار صادر ، 1994م.

## References

- 1- Al-Bahr Al-Mohet fi Tafsir, Abu Al-Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Atheer Al-Andalusi (d. 745 AH), investigated by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH, d.

- 2- Definitions, Ali bin Muhammad Al-Jerjani (d. 816 AH), compiled by Nasir al-Din Tounsi, Al-Quds Export Company, Cairo, 2007 AD, d.
- 3- The Crowd of Arab Letters in the Glorious Arab Ages, Ahmed Zaki Safwat, Beirut, Scientific Library, illustrated by Mustafa Al-Babi Al-Halabi's edition, Cairo, 1937 AD.
- 4- Literary Life in the Era of the Crusades in Egypt and the Levant, Ahmed Badawy, Dar Al-Nahda, Egypt, 2nd Edition, D 0 T 0
- 5- Subh Al-Asha in the Construction Industry, Ahmed bin Ali Al-Qalqashandi (d. 821 AH), investigated by Muhammad Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 3rd edition, 1987 AD.
- 6- Pages of Egyptian Literature from the Fatimid Era to the Modern Renaissance, Abdel Hamid Hassan, Arab Thought House, Egypt, 1, 1950 AD.
- 7- Al-Umda fi the merits of poetry and its literature, Ibn Rashiq Al-Qayrawani (d. 463 AH), achieved by Mohieddin Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, 1981 AD, d. 0 i 0
- 8- Fayd al-Qadir, Explanation of the Small Mosque, Zaid al-Din Muhammad al-Manawi al-Qahiri (d. 1031 AH), Great Trade Library, Cairo, 1, 1356 AH
- 9- The Book of Preference, Ali bin Munjib Al-Serafy (d. 542 AH), d. 0d, d. 0, i.0
- 10- The Book of the Two Industries, Abu Al-Hilal Al-Hassan bin Abdullah Al-Askari (d. 395 AH), investigated by Ali Muhammad Al-Bajjawwi, the Racist Library, Beirut, 1419 AH, d.
- 11- Lisan al-Arab, Muhammad Bam Makram bin Ali Ibn Manzur (d. 711 AH), Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414 AH
- 12- Graphic Touches in the Download Texts, Fadel bin Saleh Al-Samarrai, Dar Ammar for Publishing and Distribution, Jordan, 3rd Edition, 2003 AD
- 12- The Walking Parable in the Literature of the Writer and Poet, Zia al-Din Ibn al-Atheer (d. 637 AH), investigated by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, the Modern Library, Beirut, 1420 AH
- 13- The Fatimid Documents Collection, Dr. Jamal Al-Din Al-Shayal, Library of Religious Culture, Cairo, 1, 2002 AD
- 14- Female Dancers and Female Singers, Ibn Saeed Al-Mughrabi (d. 658 AH), Dar Ahmed Mahiou, Beirut, 1973 AD, d. 0 i 0
- 15- Promoter of Gold and Jewel Minerals, Abi Al-Hassan bin Ali Al-Masoudi (d. 346 A.H.), Al-Asriya Library, 1, 2005 A.D.
- 16- Dictionary of the Writers, Guiding the Arab to Knowing the Writer, Shihab al-Din bin Yaqut al-Hamawi (d. 626 AH), achieved by Ihsan Abbas, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st edition, 1993 AD
- 17- Keys to the Unseen, Abu Abdullah Muhammad bin Al-Razi (d. 606 AH) House of Revival of Heritage, Beirut, 3rd Edition, 1420 AH
- 18- The Features of the Egyptian Personality in Graphic Studies in the Seventh Hijri Century, Dr. Mustafa Al-Sawy Al-Juwayni, Dar Al-Nahda, Egypt, 1997 AD, D0 i 0
- 19- Al-Muntaki min Masr Akhbar, Ibn Maysar (d. 677 AH), investigated by Ayman Fouad Al-Sayed, French Scientific Institute of Oriental Archeology, Cairo, 1981 AD, d.
- 20- Sermons and Reflections in Remembrance of Plans and Effects, Ahmed Ali bin Taqi Al-Din Al-Maqrizi 21- The emergence of artistic writing in Arabic literature: Dr. Hussein Nassar, Library of Religious Culture, Cairo, 1, 2005 AD.
- 22- Al-Wafi in Deaths, Salah Al-Din Al-Safadi (d. 764 AH) Investigated by Ahmed Al-Arnaout, Turki Mustafa, Arab Heritage Revival House, Beirut, d.
- 23- Deaths of Notables and News of the Sons of Time, Shams al-Din Ibn Khalkan (d. 681 AH), achieved by Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, 1994 AD, d. 0 t.
- 24- Elliot T.S. Heritage and Individual Talent of Poetry Among Three Critics, Manah Khoury, House of Culture, Beirut, 1st Edition, 1966 AD (d. 845 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1, 1418 AH.